﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩﴾ [التوبة: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين ابتغاء المنافقين الفتنةَ، والاستئذانِ للتخلّفِ بدعوى الفتنةِ بالخروج

أصَّلتِ السُّورةُ الكريمةُ حديثَها عن هؤلاء المنافقين، فحكت جانبًا من أعذارِهم الكاذبة، ومن أقوالِهم الخبيثة[1]، ذلك أنَّهم لما أجْمَلُوا في هذا الحكم، وكان قد أشير إلى أنَّ منهم مَنْ كان قد استأذن في الخروج توطئةً للاعتذار عنه، شرعَ بتفصيلهم، وبدأ بمَنْ صرَّح بالاستئذان[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَقَطُواْ﴾: "السِّين والقاف والطَّاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الوقوع، وهو مطَّرد"[3]. وهو طرحُ للشَّيء من مكان عالٍ إلى مكان منخفضٍ كسقوط الإنسان من السَّطح[4]، ومعنى اللَّفظة: وقعوا في الفِتْنة بنفاقهم، وأُلقوا في الهلاك[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التّعلّلُ بالاحتراز مِنَ الوقوعِ في الفِتْنةِ، وهُم واقعون فيها، بتخلُّفِهم عن أمرِ الله

المعنى: ومن هؤلاءِ المنافقين الَّذين لم ينتهِ الحديثُ عنهم بعد ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لك: يا محمَّد ﴿ٱئۡذَن لِّي﴾ في القعود بالمدينة، ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾، أي: ولا تُوقعْني في المعصيةِ والإثم بسببِ خُروجي معك إلى تبوكَ، ومُشاهدتي لنساء بني الأصفر، نزلت في الجدِّ بن قيسٍ المنافقِ، قال رسولُ اللّه ﷺ: "هل لك في جهادِ بني الأصفر؟ يعني: الرُّومَ، تتَّخذ منهم سراريَ ووُصفاءَ.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 6/312.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/494.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سقط).
(4) الرّاغب، المفردات: (سقط).
(5) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/502، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/65.

فقال: ائذن لي في القعود عنك، ولا تَفْتِنِّي بذكر النِّساء؛ فقد علمَ قومي أنِّي مغرمٌ بهنَّ، وأنِّي أخشى ألَّا أصبرَ عنهنَّ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بَلاغةُ الوصل:

قولهُ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾، عُطِفَ على قوله: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ﴾، شروعًا في تفصيل ما أُجمِل الحديثُ عنه من ابتغاء الفِتْنة، وتقليب الأمر، وبدأ المفصلين بمن صرَّح بالاستئذان في القعود[2]، ويصحُّ أن تكون الواوُ للاستئناف، والجملةُ مستأنفةً.

تفصيلُ ما أُجمِلَ الحديثُ عنه، في مـذرجِ السّياق السّابقِ

سِرُّ التَّعبير بقولهِ: ﴿وَمِنْهُم﴾:

(من) هاهنا تبعيضيَّةٌ، وفيها إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ طلبَ الإذنَ عددٌ منهم، وليس كلَّهم، وهذا إنصافٌ منَ القرآن لهؤلاء المنافقين؛ فمهما يكنْ من خلافٍ بينَهم وبين المسلمين؛ فإنَّ سيِّئاتِ بعضِهم لا تعمُّهم، وهو ما يرجِّحُ روايةَ سبب النُّزول بأنَّ الطَّالبَ الإذنَ هو الجدُّ بنُ قيس الأنصاري، وضمير الجمع المجرور عائدٌ إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [التوبة: 45].

إنصافُ القرآنِ في الأحكامِ، وبيانُ أصنافِ المنافقين الشّانِئين

نُكتةُ التَّعْبيرِ عن فعلِ القولِ بصيغة المضارع:

قولهُ تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾، أي: "في جبلَّته تجديدُ هذا القول من غير احتشام"[3]، فهو مستمرٌّ على تَكرارهِ فعلًا وقولًا، مصرٌّ على ذلك مواربةً منْ غيرِ حياءٍ، أو تأدُّبٍ في الخطاب.

تـجـدُّدُ الـقـولِ والـفـعـلِ، دليلُ قُبْحِ خصالِهم، وسَيِّءِ طباعِهم

وقد عَبَّر عن قولهِ بالفعل المضارع لاستحضار تلك الحالِ لغرابتها، فإنَّ مثلَهُ في نفاقهِ وفجوره لا يخشى على نفسِهِ إثمَ الافتتان بالنِّساء؛ إذ لا يجد من دينه مانعًا من غشيان الشَّهوات

(1) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/502.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/494.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/494.

الحرام بالتَّمتُّع بهنَّ، وهو يحبُّهنَّ، بل شأن ذلك أنْ يكون مُرغِّبًا له في هذه الغزوة[1].

دَلالةُ الطَّلبِ في فعلِ الأمر ﴿ٱئۡذَن لِّي﴾، والنَّهي ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۖ﴾:

تخريجُ الأمرِ على الدُّعاءِ أوِ الرَّجاءِ، للتّعبيرِ عنِ المرادِ منَ السّياقِ

الطَّلبان: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۖ﴾ ظاهرهُما أنَّهما أمرٌ، ولكنَّهما هنا ليسا أمرًا؛ لأنَّ الأمرَ إذا جاء من الأدنى إلى الأعلى؛ فلا يُقال: إنَّه أمرٌ، بل هو دعاء أو رجاء، وإنْ جاء من المُساوي يُقال: (مُساوٍ له)، أمَّا إنْ جاء من الأعلى إلى الأدنى؛ فهو الأمرُ، وكلُّها طلبٌ للفعل[2].

بَلاغةُ المجاز العقليّ:

من سوءِ الأدبِ، إسنادُ الفِتْنةِ إلى السَّببِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓۖ﴾، إسنادُ الفِتْنة إلَى النَّبيِّ ﷺ مجازٌ عقليٌّ من قبيل الإسناد إلَى السَّبب؛ أي: لا تكُنْ سببًا لوقوعي في الفِتْنة، أي: العصيان؛ بألَّا تأذن لي[3]، وذلك سوءُ أدبٍ في خطاب النَّبيِّ ﷺ.

فائِدةُ التَّصدير بـ (ألا):

حقَّقت (ألا) سقوطَهم، ونبَّهت على عجيبِ حالِهم الدَّاعي إلى التَّأمُّلِ

أفاد تصديرُ جملة ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ بأداة التَّنبيه تحقيقَ سقوطهم في الفِتْنة؛ ذلك أنَّها تدلُّ على تحقُّق مضمون ما بعدها إنْ كان خبرًا لتوجيه السَّمع والقلب له[4]، وفي الإتيان بأداة الاستفتاح أيضًا تنبيهٌ على أنَّ ما بعدها من عجيب حالهم الدَّاعي إلى التَّأمُّل؛ إذ عاملهم الله بنقيض مقصودِهم، فهم احترزوا عن فتنة، فوقعوا في الفِتْنة[5].

دَلالةُ (في) على الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ:

انغماسُهم في الفِتْنةِ، وكأنَّها وعاءٌ لهم ومُستقَرٌّ

أفادت (في) في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ الظَّرفيَّةَ

(1) رضا، تفسير المنار: 10/412.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 9/5169.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 9/246.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/264، ورضا، تفسير المنار: 10/412.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.

المكانيَّةَ؛ فصارت ظرفًا لهم، فوضعوا أنفسَهم بذلك في جهنَّمَ[1]، فكأنَّها صارت محلًّا لهم، ووعاءً يضمُّهم، وسقوطهم واقعٌ فيه مكانًا، ومستقرًّا.

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرور على الفعل:

الدَّلالةُ على حصْرِ سقوطِهم في الفتنة، وصيرورةِ المنجَى مَهلَكًا

وتقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿فِي ٱلْفِتْنَةِ﴾ على عامله ﴿سَقَطُوا۟﴾ إيذانٌ بأنَّهم وقعوا فيها، وهم يحسبون أنَّها منجى من الفِتْنة، وللدَّلالة على الحصر، والتَّخصيص، أي: فيها لا في غيرها قد سقطوا، وأنَّ عملهم مقصورٌ على الفِتْنة، ولا يكون غيرها؛ لأنَّ عذرهم كاذبٌ ساقطٌ في ذات نفسه، وبهذا القول هوَوا إلى قاع سحيق[2]، وتردَّوا في هاوية الفِتْنة بأوسع معناها، لا في شيء آخر من شبهاتها أو مشابهاتها، من حيث يزعمون اتِّقاء التعرُّض لشبهةِ نوعٍ من أنواعِها، وهو الإثمُ بالنَّظرِ إلى جمال نساء الرُّوم، واشتغال القلب بجمالهنَّ، فتردَّوا في شرٍّ ممَّا اعتذروا به[3].

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظِ (الفِتْنة):

ورودُ البيانِ بالمشاكلةِ لعُذرِهم، والفضحِ لكَذِبِهم

يُشير الطِّيبيّ إلى أنَّ " أصلَ الفَتْنِ: إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ لتظهر جودتُه من رداءته، واستُعمل في إدخالِ النَّاسِ النَّارَ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات: 13]، وسُمِّي ما يحصل عنه العذاب فتنةً، قال تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: 49]، ويُستعملُ في الاختبار، قال تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: 40]، وجُعِلتِ الفِتْنةُ كالبلاء في أنَّهما يُستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدَّةٍ ورخاء، وهما في الشدَّةِ أكبرُ معنًى وأكثر استعمالًا، وقد قال تعالى فيهما: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، وقال في الشَّرِّ: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/494.

(2) الطِّيبيّ، فتوح الغيب: 7/264، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/431، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3325.

(3) رضا، تفسير المنار: 10/412.

مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، أي: يبتليهم، ويعذِّبهم"[1]. ويبيِّن هذا التفصيلُ علَّةَ إيثار لفظ الفِتْنة في موطنِ الشِّدَّة الّذي أوقعوا أنفسَهم فيه؛ تخلُّفًا، وظهورًا لكفرهم، ونفاقهم.

دَلالةُ تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾:

الإرشـــادُ إلى عِـظَـمِ الفتنةِ، وخـطَـرِ فُشوِّها في الصّفوفِ

التَّعريفُ في الفِتْنة ليس تعريفَ العهد؛ إذ لا معهود هنا، ولكنَّه تعريفُ الجنس المُؤْذِن بكمال المعرَّف في جنسه، أي: في الفِتْنة العظيمة سقطوا، فأيُّ وجهٍ رشحَ في المراد من الفِتْنة حين قال قائلهم: ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ كان ما وقع فيه أشدَّ ممَّا تفصَّى منه وأعظم، فإنْ أراد فتنةَ الدِّين؛ فقد وقع في فتنة الشِّرك والنِّفاق، وإنْ أرادَ فتنة سوء السُّمعة بالتخلُّف؛ فقد وقع في أعظم منه بافتضاح أمر نفاقِهم، وإنْ أراد فتنةَ النَّكد بفراق الأهلِ والمال؛ فقد وقعَ في أعظم نكدٍ بكونه ملعونًا مبغوضًا للنَّاس[2].

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿سَقَطُوا۟﴾:

لـفـظُ الـسُّـقـوطِ دلالـةُ تَـردِّيـهـم، وانـحـطـاطِ منزلتِهم بلُزومِ الفِتْنةِ

يُنبئُ التَّعبيرُ عنِ افتتانهم بالسُّقوط تمكُّنَ وقوعِهم في الفِتْنة، والمبالغةِ في ذلك[3]؛ إذ يدلُّ اللَّفظُ على لزومهم الفِتْنة، وانتشابهم في أشراكها انتشابًا سريعًا قويًّا؛ وصار يَعْسُر خلاصهم معه[4].

وفي التَّعبيرِ عن (الافتتان) بالسُّقوط في الفِتْنة، تَنَزُّلٌ لها منزلةَ المهواة المُهلكة، المفصحةِ عن تردِّيهم في درجات الرَّدى أسفل سافلين[5]؛ لما في اللَّفظة من احتمال دلالة الانحطاط والتَّردِّي وعدم الفائدة، ومنه قولهم: "سَقَط المتَاع"، أي: رَدِيئُه وحَقِيرُه[6].

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 7/547.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/432، ورضا، تفسير المنار: 10/412.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/494.
(5) القاسميّ، ومحاسن التّأويل: 5/431.
(6) ابن الأثير، النّهاية: (سقط).

بلاغةُ الاستعارةِ التّبعيّة:

السّقوطُ في الفتنة، هو الهُوِيُّ من غير تحسُّبٍ لذلك أو تهيُّؤٍ

قوله: ﴿سَقَطُوا۟﴾، السُّقوط مُستعمَلٌ مجازًا في الكَوْنِ فجأةً على وجه الاستعارةِ التَّبعيَّةِ؛ شُبِّهَ ذلك الكونُ بالسُّقوط في عدم التَّهيُّؤ له، وفي المفاجأة باعتبار أنَّهم حصلوا في الفِتْنة في حال أمنِهم من الوقوع فيها، فهم كالسّاقط في هوَّةٍ على حين ظنَّ أنَّه ماشٍ في طريق سهل[1].

بَلاغةُ المجاز:

أُطلِقَ لفظُ الفِتْنةِ، وأُريدَ جهنَّمُ

في قوله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ مجازٌ مرسلٌ علاقتُهُ الحاليَّةُ، أي: في جهنَّمَ، فأُطلق الحال وأُريد المحلُّ؛ لأنَّ الفِتْنةَ لا يسقط فيها الإنسان؛ إذ هي معنى من المعاني، وإنَّما يحلُّ في مكانها، فاستعمال الفِتْنة في مكانها مجازٌ أُطلق فيه الحال، وأُريد المحلُّ[2].

دَلالةُ استعمالِ الدّليلِ المستدلِّ به للنّقض، من باب قلْبِ النُّكتةِ:

نقْضُ ادِّعائِهم بما استدلُّوا به، من بلاغةِ السّياقِ

يذهبُ ابن عرفةَ إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ "من باب قلب النُّكتةِ، وهو أن يستدلَّ الخصمُ بدليل، فيأخذَ خصمَهُ بذلك الدَّليل، ويستدلَّ على نقض مُدَّعاه، كقوله تعالى: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾"[3]. إذ نُقِضَ ادِّعاؤهم بما استدلُّوا به ليتخلَّفوا، فوقعوا فيما هو أشدُّ منه.

نُكتةُ لفظ ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾، بين المجازِ والحقيقةِ:

إحاطةُ جهنَّمَ بهم حقيقيّةٌ في الآخرة، أو مجازٌ في الدُّنيا

إحاطةُ جهنَّمَ بهم إمَّا يومَ القيامة، وإمَّا في الدُّنيا على سبيل المجاز؛ لأنَّ أسبابَ الإحاطة معهم، فكأنَّهم في وسطها، أو لأنَّ مصيرهم إليها[4]. ووجهُ إحاطة أسبابِها بهم في الدُّنيا النَّعيُ عليهم بالنِّفاق وإفشاء الأسرار وهتك الأستار وتحقير المقدار، وأمَّا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/356.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/312.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/432.

في الآخرة فلمآلِ حالهم إلى الدَّرك الأسفل من النَّار[1]. أو تكون (محيطة) مَجَازًا، من حيثُ استعمالها في الاسْتقْبَال؛ إذ إنَّ اسمَ الفَاعل حَقيقَةٌ في الحال؛ فيكون مَجَازًا لغويًّا في جهنَّم، ذكر المسبَّب، وأُريد السَّببُ، ولا يبعد أن يكون مَجَازًا في الحذف[2]، ويصحُّ حملُها على الحقيقةِ؛ لأنَّ جهنَّم محيطةٌ بالكافرين على الحقيقةِ.

بَلاغةُ الكنايةِ في لفظِ ﴿لَمُحِيطَةٌ﴾:

وإحاطةُ جهنَّم مرادٌ منها عدمُ إفلاتِهم منها، فالإحاطةُ كنايةٌ عن عدم الإفلات[3]، فهي مُحدِقةٌ بهم من جوانبها كلِّها، فلا قدرةَ على التَّفلُّت منها، أو الهروب، أو المحيص.

وجْـهُ الإحـاطـةِ عـدمُ الإفـلات، واسـتـحـالـةُ الـتّـدارُكِ بـعْـدَ الفواتِ

بَلاغةُ الاستعارةِ التّمثيليَّةِ المحتملة:

ويذهب القونويّ إلى أنَّ الأظهرَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ كونُه اسْتعَارَةً تمثيليَّةً شبَّهَ جمعَ النَّار إيَّاهم بحَيْثُ لا يُرجى خلاصُهم بجمع المحيطِ المُحاطَ بحَيْثُ لا يقدِّر الخلاص، فاستعمل اللَّفْظ المركَّب الموضوع للمشبَّه به في المشبه، ووجه الشَّبه عدم التمكُّن من النَّجاة والسَّلامة[4]؛ إذ لا يكون لهم منها مهربٌ أو مفرٌّ.

شبَّهَ جمعَ النَّار إياهم بحَيْثُ لا يُرجَى خلاصُهم

وقد يُشبَّه حالُهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطةِ النَّار، وكون الأعمال التي هم فيها هي النَّار بعينها، لكنَّها ظهرت بصورة الأعمال في هذه النَّشأة، وتظهر بالصورة النَّارية في النشأة الأخرى، كما قيل نظيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[5][النّساء: 10].

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/480.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/247.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.
(4) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/247.
(5) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/356.

سِرُّ العُدولِ عنِ الضّمير إلى الاسمِ الظَّاهرِ:

بيانُ سببِ عذابِ الكافرين، للتَّنبيهِ على شَناعةِ الكُفرِ المهينِ

في قوله تعالى: ﴿لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ العُدولِ عنِ الإتيانِ بالضّمير المعبِّرِ عنهم، إلى الإتيان بالاسم الظَّاهر: ﴿بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ لبيان أنَّ سببَ هذا العذاب الأليم هو الكفر[1]، وإثبات إحاطة جهنَّم بهم بطريق شبيه بالاستدلال؛ لأنَّ شمولَ الاسم الكليِّ لبعض جزئيَّاته أشهرُ أنواع الاستدلال[2]. فهو تعميمٌ وتنبيهٌ على الوصف الذَّميم الَّذي حملهم على ذلك[3]، ووعيد لهم على الفِتْنة الَّتي تردَّوا فيها، وَضَعَ فيه المُظهَر موضعَ ضميرهم، للنصِّ على أنَّ عقابهم بإحاطة جهنَّم بهم عقاب على الكفر الَّذي حملهم على ذلك الاعتذار، الَّذي هو ذنبٌ في نفسهِ كان أقصى عقابِهِ مسَّ النار دون إحاطتها، لو لم يكن سببُهُ الكفرَ بتكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به من حكم الجهاد وثوابه والعقاب على تركه، أو الشَّكِّ[4].

دَلالةُ ورودِ لفظِ (الكافرين)، بصيغة الجمعِ:

بيانُ إحاطةِ جهنَّمَ، ودفعُ التّوهُّمِ أنَّ إحاطتَها بالقليلِ لا بالكثيرِ

جاء بلفظ (الكافرين) على طريق جمع السَّلامة؛ لأنَّ المرادَ بهم جميعُ الكافرين؛ ولدفع توهُّم أنَّ الإحاطةَ تكون بالقليل لا بالكثير، ويندرجُ في ضمنهم المتحدَّث عنهم لثبوت كفرهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التّوبة: 45][5].

نُكتةُ التَّعبيرِ عنِ الكافرين باسمِ الفاعلِ:

الدّلالةُ على سببِ عذابِهِم، وسوءِ مَصيرِهم في جهنّمَ

في قولِه تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أُوثرَ التَّعبيرُ بصيغة اسمِ الفاعل في (الكافرين)؛ ليكونَ دالًّا على سبب استحقاقِهم العذابَ، وملازمتِهم الكفرَ حياتَهم كلَّها ومفارقةِ الدُّنيا وهم كافرون، فلم يتوبوا، ولم يرجعوا.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3325.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/495.
(4) رضا، تفسير المنار: 10/412.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.

وفي ذلك إشارةٌ إلى عدلِ اللّه تعالى، ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ٤٤ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٥﴾ [الرُّوم: 44- 45].

دَلالةُ صيغةِ اسمِ الفاعلِ:

تـأكُّـدُ دخولِهم النَّارَ، حتَّى كأنَّه واقعٌ مُشاهَدٌ، لا مناصَ عنه ولا فرارَ منه

وعبَّر عن إحاطة جهنَّم بهم وجمعِها لهم يومَ القيامة بصيغة اسم الفاعل الدّالِّ على الحال ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾؛ لإفادة تحقُّقِ ذلك حتَّى كأنَّه واقعٌ مُشاهَد[1]، أي: إنَّهم مؤكَّدون داخلون فيها، وستحيط بهم يوم القيامة، وذكرت الآن لتأكُّد وقوعها، كقولِهِ تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النَّحل: 1]، فهو تأكيدٌ لما سيقع بتصويره كأنَّه واقعٌ وقوعًا مؤكَّدًا[2].

تَوجيهُ إعرابِ جملةِ الفاصلةِ:

مصيرُ الكافرين النَّـارُ، وبئسَ القرارُ

وجملةُ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ معترضةٌ، والواو اعتراضيّةٌ، أي: وقعوا في الفِتْنة المُفضيةِ إلى الكفر، والكفرُ يستحقُّ جهنَّم[3].

بَراعةُ التَّعبيرِ عنِ الوقوعِ في جهنَّمَ، بحشْدِ المؤكِّداتِ:

حشدُ المؤكِّدات، تحقيقٌ راسخٌ لمصيرِهم في الآخرةِ

وقد أكَّد ﷺ الوقوعَ في جهنَّم يومَ القيامة بحشْدٍ من المؤكِّدات: "أوّلها: الجملةُ الاسميَّة، ثانيها: (إنَّ) الدَّالَّة على توكيد الخبر، وثالثها: بيان أنَّها محيطةٌ بهم إحاطة الدَّائرة بقُطْرها لَا يخرجون عمَّا تحيط به، ورابعها: باللَّام المؤكَّدة في قوله تعالى: ﴿لَمُحِيطَةٌۢ﴾"[4].

(1) رضا، تفسير المنار: 10/413.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3325.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/221.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3325.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»